٣ - السد العالى بين الأفكار المصرية والاسرائيلية

على ضفاف النيل فى أسوان :

بعد انتهاء مؤتمر الاسماعيلية بالفشل ، راجعت ما دار فى مؤتمر جانكليس الذى أظهر نوايا إسرائيل بالنسبة لسيناء . فقد حاولوا نزع سلاح الجزء الأكبر من سيناء ، وصمموا على تنفيذ ما نسبوه للسادات من أنه أعطاهم وعداً فى القدس بألا تتجاوز قواتنا خط المضايق ، وعملوا باصرار شديد على إبقاء مطارى رفح ورأس النقب فى موقعيهما بسيناء ، ودافعوا للابقاء على مستوطنة «ياميت » جنوب رفح والمستوطنات من إيلات إلى شرم الشيخ فى أماكنها .

ثم جاء بيجن إلى مؤتمر الاسماعيلية يطلب إعطاء إسرائيل - فى خطة السلام الإسرائيلية المقترحة - كل الحقوق التى تضمن لها الضم الفعلى للضفة الغربية . وعدم الاتفاق على « إعلان مبادىء السلام » التى اقترحتها مصر .

تكونت الصورة أمامى : إن طريق السلام طويل ... طويل ، مملوء بالاشواك والعراقيل . وتوقعت أننا سنصل إلى طريق مسدود إن عاجلاً أو آجلاً .

لقد أظهرت اجتماعات الاسماعيلية الفجوة الواسعة بين مواقف مصر وإسرائيل . وأخذت الأخبار والتصريحات تنقل عن إسرائيل عزمها على إنشاء مستوطنات جديدة فى سيناء لخلق أمر واقع جديد ، وادعت على لسان بيجن وديان وشارون ان لإسرائيل الحق فى الاستيطان فى أى مكان . ووقفت الصحافة المصرية موقفا وطنيا رائعاً ضد

سياسة الحكومة الإسرائيلية التى تعمل على إجهاض فرصة السلام التى لاحت فى الأفق بعد زيارة السادات للقدس .

لقد كان الرئيس السادات مقتنعا دائما بأن مبادرة السلام التى قام بها لا بد أن تنجح ، ولكنه فى هذه المرحلة – بعد مؤتمر الاسماعيلية – أصبح يسمع عن مستوطنات إسرائيلية جديدة يجرى بناؤها . ومن هنا أعلن السادات أنه لن يسمح ببقاء أى مستوطنة إسرائيلية فى سيناء ، وأضاف فى تصريحات صحفية أنه قدم لإسرائيل – بزيارته للقدس – أكثر مما كانت تحلم به منذ إنشائها .

فى هذا الجو السياسى غير المناسب ، تقرر عقد اجتماع اللجنة العسكرية بالقاهرة فى النصف الأول من يناير ١٩٧٨ .

كان واضحاً أمامنا ، أن المفاوضات العسكرية يترتب على نتائجها آثارها السياسية والعسكرية . فالوصول إلى نتائج إيجابية فى المفاوضات العسكرية يفتح الطريق للوصول إلى اتفاق سياسى عن مستقبل العلاقة بين مصر وإسرائيل فقط ، ولكن المشكلة الرئيسية هى قضية فلسطين وكيف يمكن الوصول إلى حلها بحيث يتحقق السلام الشامل والدائم والعادل لمشكلة الشرق الأوسط وهذا ما تبحثه اللجنة السياسية .

كان المهم عندى فى هذه المرحلة من المفاوضات هو تأمين مصر من هذا الاتجاه الاستراتيجى الهام والخطير . وهذا يتطلب الانسحاب الإسرائيلى الكامل من سيناء ، وأن يكون لقواتنا المسلحة حرية العمل فيها دون أى قيود حتى نتمكن من الدفاع عن سيناء ومنطقة قناة السويس والدولة بكفاءة .

لقد كانت سيناء مسرحاً للعمليات الحربية منذ زمن بعيد. وازدادت أهميتها العسكرية للدفاع عن مصر منذ إنشاء دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ . وسيظل لها الأهمية القصوى والأسبقية الأولى لتنظيم الدفاع عن مصر من هذا الاتجاه فى السلم والحرب .

ففى عام ١٩٥٦ اشتركت إسرائيل فى العدوان الثلاثى على مصر ، بأن هاجمت قواتنا فى سيناء بالتعاون والتنسيق مع إنجلترا وفرنسا . انتهزت فرصة وجودها فى سيناء وتصورت أنها حققت هدفها بضم سيناء لأراضيها ، وأعلن بن جوريون رسميا فى الكنيست هذا الضم . وكان ذلك هو الدليل العملى الأول على نوايا إسرائيل بالنسبة

لسيناء ، إلا أن ذلك لم يتحقق واضطرت إسرائيل – مرغمة – على الانسحاب منها .

وفى حرب يونيو ١٩٦٧ تمكنت إسرائيل من احتلال سيناء للمرة الثانية لأخطاء ارتكبناها . وكان تعبير إسرائيل على لسان قادتها أن خط قناة السويس يمثل أفضل الحدود الآمنة لهم ، وأقاموا فيها المستوطنات وأنشئوا فيها مطارين . وكان ذلك هو الدليل العملى الثانى على نواياهم لضم سيناء لأراضيهم .

ونتيجة لحرب أكتوبر ١٩٧٣ ثم مبادرة السادات بزيارة القدس أصبح واضحاً للإسرائيليين خلال المفاوضات الجارية أننا مصممون على انسحابهم الكامل منها ، فكانت خطتهم الجديدة هى السعى لتعديل الحدود الدولية وإيجاد تواجد لهم فيها بعد الانسحاب تحت ستار الأمن . والأهم من ذلك هو العمل على نزع سلاح سيناء ، وتحديد حجم قواتنا فيها ليكون ذلك ضمانا لاضعاف قدرة مصر على الدفاع عنها ، وبالتالى يمكنهم مستقبلاً عندما تحين الفرصة لذلك أن يكونوا فى الموقف الاستراتيجى العسكرى الأقوى فى جولة تالية ضد مصر . ولن يمنع السلام بين مصر وإسرائيل من حدوث هذه الجولة .

□ □ □

ونتيجة للاتفاق بين مصر وإسرائيل على عقد اجتماع اللجنة العسكرية ، وصل الوفد الإسرائيلى برئاسة ويزمان بالطائرة إلى القاهرة . طلبت من ويزمان فى المطار – تلبية لرغبة السادات – أن نتوجه معا إلى اسوان لمقابلة الرئيس الراحل هناك قبل بدء العمل .

كان فى انتظارنا طائرة مستير ٢٠ من قواتنا الجوية على استعداد للاقلاع بنا إلى أسوان ، بينما يتوجه باقى الوفد إلى « قصر الطاهرة » بالقاهرة حيث تتم المفاوضات .

كان حديثنا أثناء الرحلة إلى أسوان يتسم بالتحفظ لأن الجو السياسى العام لم يكن يسمح بغير ذلك . وقلت لويزمان إننا لا نفهم تصرفاتهم وأصبحنا نعتقد أنهم يخدعوننا ، وكان واضحا أنى أعنى تصرفاتهم السياسية الأخيرة التى أوجدت حالة من التوتر السياسى بين الدولتين . لم يعلق ويزمان .

لم يكن ممكنا أن نقضى حوالى ساعة ونصف – رحلة الطائرة – فى مواجهة بعضنا دون حديث ، وكان من الطبيعى أن يكون حديثنا عن ذكريات الحرب السابقة بيننا من هنا وهناك . إنه يحب الحديث عن حرب يونيو ١٩٦٧ لأسباب سياسية فضلاً

عن النجاح الذى حققوه وكان هو رئيس شعبة العمليات فى ذلك الوقت . وكنت أحب الحديث عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ لأسباب سياسية مختلفة فضلاً عن الانتصار الذى حققناه وكنت فى ذلك الوقت رئيس هيئة العمليات . ولا شك أن الصورة كانت معكوسة فى الحربين ، إلا أن الحديث كان مجرد ذكريات لقتل الوقت ، دون أن يكون له طابع المناقشة الموضوعية أو المبارزة .

وأثناء الحديث خلال رحلة الطائرة سألت ويزمان : لماذا اشتركت إسرائيل مع إنجلترا وفرنسا فى الحرب ضدنا لحرماننا من قناة السويس التى أممنا شركتها وهذا حقنا وهى قناتنا ؟

كنت أقدر صعوبة رده على سؤالى برغم أننى كنت أريد أن أعرف إجابته وتفسيره ... لن يقول إن إسرائيل قامت بدور مرسوم لها لصالح إنجلترا وفرنسا فى المنطقة فى ذلك الوقت ... ولن يقول إنه كان بهدف التوسع لضم سيناء لأراضيهم ... ولن يقول ... وكان رد ويزمان أن هذه الحرب أصبحت بالنسبة له تاريخاً ، وكان ذلك هو الرد الدبلوماسى بعدم الخوض فى هذا الحديث . واقتربنا من أسوان .

ومن نافذة الطائرة شاهدنا بحيرة السد العالى والمدينة التى شهدت أحداثاً أصبحت جزءاً من تاريخ مصر . والسد العالى أصبح رمزاً لتصميم وجهد الإنسان المصرى لبناء هذا المشروع الكبير ،وخاضت مصر من أجله معركة سياسية شديدة ضد سياسة أمريكا وإنجلترا لعرقلة بنائه . وكان الرد المصرى – على لسان الرئيس عبد الناصر – هو تأميم شركة قناة السويس ، وبالتالى كان الاعتداء الثلاثى على مصر ، وكان النصر السياسى فى بناء السد العالى وتأميم شركة قناة السويس من الأحداث الهامة فى تاريخ مصر الحديث .

وأثناء الاستعداد لهبوط الطائرة فى مطار أسوان ، تذكرت بكل الاعتزاز الجهد الكبير الذى بذلته قواتنا المسلحة فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ للدفاع عن أسوان وحماية السد العالى باعتباره أحد الأهداف الحيوية الرئيسية التى لا يمكن المساس به إذا فكرت إسرائيل فى تهديده و لم نستبعد ذلك . لقد كانت طائراتنا جاهزة ، وكانت صواريخ الدفاع الجوى منتشرة فى الصحراء حول أسوان ، وكانت هناك الوسائل التى تمنع أفراد العدو من الاقتراب من جسم السد عن طريق مياه النيل .

توجهنا من المطار مباشرة إلى الاستراحة التى يقيم فيها الرئيس السادات فى اسوان ، وهى عبارة عن مبنى من دورين شيد بالحجارة فى موقع جميل يطل على النيل مباشرة ، وله حديقة مناسبة ، والهدوء يسود المكان مما يبعث على الراحة .

بدأت المقابلة بتبادل التحية ، وسأل السادات ويزمان عن رحلة الطائرة عسى أن يكون قد شاهد جزءاً من مصر خلالها .

وكان رد ويزمان – كعادته أن يكون حديثه الاجتماعى مدخلاً مناسباً إلى الموضوع السياسى أو العسكرى الذى يريد أن يطرقه – هو أن رحلة الطائرة استغرقت حوالى ساعة وربع الساعة من مدينة لأخرى داخل مصر . ولكن إسرائيل دولة صغيرة ، ولو طار من إسرائيل إلى الشرق لمدة ساعة وربع فإنه يصل إلى بغداد . إن كل شىء صغير فى إسرائيل ، ولذلك فإن المنطقة حول رفح تبدو واسعة بالنسبة لهم برغم أنها تشكل فقط حوالى نصف فى المائة بالنسبة لمصر .

لم يترك السادات هذا الكلام يمر دون تعليق ، فقال ما معناه إنه يعرف الشعب جيداً ، وأن الشعب لن يقبل أى حل لا يحقق استعادة سيناء كاملة بدون وجود أى مستوطنات أو مطارات فيها .

ودارت المناقشة تكلم فيها ويزمان عن الأمن الإسرائيلى ، وأبرز أن كثيرين من الإسرائيليين يقيمون بالقرب من الحدود ، وأن بئر سبع على سبيل المثال تقع على مسافة ثلاثين كيلومتراً فقط من الحدود ، وأن موضوع الأمن بالنسبة للإسرائيليين هو موضوع هام جداً . وأراد ويزمان أن ينفذ إلى قلب السادات بموضوع إنسانى ، فقال إن رجل الشارع الإسرائيلى يبدى إعجابه بشخص الرئيس ويرى فيه الزعيم الجرىء ، وإن ويزمان شاهد حانوتاً فى تل أبيب اختار له اسم « أزياء السادات » ، وإنه – ويزمان – سبق أن قال إن زيارة السادات للقدس تعادل هبوط أول إنسان على سطح القمر . وإذا فقد السادات هذا الاعجاب فإن ذلك يعتبر خسارة كبيرة ، ولذلك فإن الموقف يتطلب اتخاذ قرارات جريئة .

استمع السادات بارتياح إلى كلام ويزمان ، ولكنه رفض باصرار – وجود أى مستوطنات فى منطقة رفح وأنه ليس مستعداً للموافقة على إبقاء المستوطنات والمطارات فى يد إسرائيل ، وأن الشعب لن يقبل بوجودها .

لقد استمرت المناقشة بين السادات ووايزمان حوالى ساعة حول موضوع المستوطنات والمطارات فى سيناء حاول فيها ويزمان انتزاع موافقة السادات على بقائها فى أماكنها إلا أن السادات صمم على رأيه .

لقد سبق مناقشة هذا الموضوع معى فى جانكليس ورفضت الرأى الإسرائيلى ، وتكررت مناقشته فى الاسماعيلية فى مفاوضات السادات - بيجن ورفضه السادات للمرة الثانية ، وها هى المرة الثالثة التى يناقش فيها نفس الموضوع فى أسوان ويُرفض .

لقد كان هناك سد عال بين الفكر الإسرائيلى والفكر المصرى .

وعدنا - ويزمان وأنا - للقاهرة لتبدأ مفاوضات « قصر الطاهرة » .

فى قصر الطاهرة :

اتجهنا مباشرة إلى « قصر الطاهرة » الذى تخصص لاجراء المفاوضات . وهو أحد قصور رئاسة الجمهورية بالقاهرة وهو مكون من دورين به عدد كبير من الحجرات الواسعة ويحيط به حديقة كبيرة يليها سور عال من جميع الأجناب .

لقد كنت أشعر بالضيق من نوايا وتصرفات الحكومة الإسرائيلية التى بدت أمامنا فى مؤتمر الاسماعيلية ، وكنت مقتنعا بأن السلام الشامل والعادل لمشكلة الشرق الأوسط ليس هو الهدف الإسرائيلى ، ولكن هدفها المرحلى هو ضم الضفة الغربية وقطاع غزة لأراضيها ، وكان ذلك واضحا فى مشروع بيجن للسلام .

أما السلام مع مصر فلا بد أن يحقق لإسرائيل المكاسب السياسية والعسكرية التى تضمن لها تنفيذ سياستها التوسعية واستراتيجيتها العسكرية فى المنطقة . ولم أنس أبداً اللقاء الأول بيننا فى جانكليس وهو اللقاء الذى أوضح نواياهم عن مستقبل العلاقة العسكرية بين الدولتين كما يتمنونها ويسعون لتحقيقها فى مرحلة السلام بين مصر وإسرائيل .

بدأت المفاوضات ، وكان الوفد الإسرائيلى يضم نائب الوزير ورئيس الأركان الجنرال جور ومدير المخابرات العسكرية والجنرال تامير وآخرين . وكان الوفد المصرى يضم الفريق محمد على فهمى رئيس الأركان ورئيس هيئة العمليات ومدير المخابرات الحربية واللواء طه المجدوب وآخرين .

افتتحت جلسة العمل بالتنويه بأننا نجتمع لحل المشاكل العسكرية بما فى ذلك موضوع المستوطنات والمطارات فى سيناء حتى يمكن التوصل إلى السلام بيننا . وقد جددت هذين الموضوعين لعدم تلاقى وجهات نظر الطرفين فيهما منذ اللقاء الأول ويجب حسمهما .

وكان الابقاء على أى مستوطنة فى سيناء أو الاحتفاظ بأى مطار داخل سيناء فى يد إسرائيل معناه أن سيادة مصر على سيناء ليست كاملة وأن الانسحاب الإسرائيلى لن يكون كاملاً ، وهو أمر يستحيل قبوله ، وبالتالى يجب أن تتوقف المفاوضات العسكرية إذا لم تنسحب إسرائيل من سيناء انسحاباً كاملاً وشاملاً .

شرح ويزمان وجهة نظر إسرائيل فى موضوع « الأمن » لابراز أهميته ،وتحدث عن العزلة التى تعيشها إسرائيل ووجود المستوطنات الإسرائيلية قريبة من الحدود . وقال إنه وجميع زملائه من رجال الجيش مثلنا تماما ، ورجال الجيش يدركون خطورة الحرب وباستطاعتهم التوصل إلى تفاهم بشكل أفضل من السياسيين . وامتدح الرئيس السادات ، وقال إنه دفع عقارب الساعة إلى الأمام ويأمل ألا تتوقف .

استمعنا لحديث ويزمان بكل اهتمام بينما التوتر كان ظاهراً على وجوهنا ، وقلت « إنى لست مقتنعا بأن المستوطنات لها الأهمية التى تحاولون إعطاءها لها . فعدد سكانها قليل ومن السهل إعادتهم إلى داخل إسرائيل ، لأن وجود هذه المستوطنات فى سيناء يعنى التوسع على حسابنا ، والشعب لن يوافق على ذلك » .

تكلم ويزمان ، وأضاف أن موضوع مطارى رفح ورأس النقب يرتبط أيضاً بالأمن الإسرائيلى ، وهما المطاران اللذان انشأتهما إسرائيل خلال فترة الاحتلال ، وأضاف أن هذه المطارات كلفتهم عشرات الملايين من الدولارات .

وقال : « إن خطة السلام الإسرائيلية تقضى بإعادة سيناء إلى السيادة المصرية بينما تبقى المستوطنات فى حوزتنا وتمنح مكانة خاصة للمطارات » .

عند هذا الحد كنت وصلت إلى الموقف الذى يجب أن تنتهى عنده مناقشة هذا الموضوع ، ولكن الفريق محمد على فهمى تدخل فى الحديث وسأل ويزمان عن أهمية تلك المطارات ؟

رد ويزمان : إنها للدفاع عن إيلات ؟

وكان السؤال الثانى : ضد من ؟

وكانت الاجابة : ضد الأردن والسعودية ، والأمل ألا نضطر للدفاع عنها ضد قوات الفريق الجمسى .

وبعد مناقشة طويلة اقترح ويزمان أن تتحول احدى القاعدتين الجويتين فى سيناء إلى مطار مدنى ، وأن تظل الأخرى تحت سيطرة إسرائيل ، وأن تبقى باق المطارات تحت اشراف الأمم المتحدة حتى عام ٢٠٠١ . ولم يكن ذلك مقبولاً منا .

وحول هذا الموضوع سجل ويزمان فى مذكراته يقول[١] :

« لقد أدى إصرار الجانب المصرى على ضرورة الانسحاب من المطارات إلى إشعال الضوء الأحمر فى ذهنى ، واعتقدت أن إصرارهم ليس عبثاً .

إن أمن إسرائيل يعتمد إلى حد كبير على السلاح الجوى ، ولهذا السبب جعلته قوة رئيسية ، وخشيت أن يكون هدف المصريين من مطالبتهم بالمطارات ، هو إنزال ضربة بقوة سلاحنا الجوى وخاصة أنهم يعلمون مدى أهمية هذه المطارات بالنسبة لسلاح الجو الإسرائيلى . ويوجد فى سيناء عشرة مطارات ، بعضها يستخدم بشكل كامل والبعض الآخر يستخدم فى حالات الطوارىء .

لقد كانت سيناء منطقة إنذار من أى هجوم جوى على التجمعات السكانية الإسرائيلية . ومكّنت إسرائيل من توزيع طائراتها على مطارات عديدة ، لمنع تعرضها للاصابة من هجوم مباغت ... » .

كنا ندور فى حلقة مفرغة عن المطارات والمستوطنات . والحقيقة أن ويزمان كان ملتزما بدقة « بالمشروع الإسرائيلى للسلام » الذى قدمه بيجن فى الاسماعيلية . وكنت مع الوفد المصرى نلتزم بدقة بسيادة مصر على أراضينا وضرورة إنهاء الاحتلال الإسرائيلى لسيناء بحيث يكون كاملاً وشاملاً وقلت « لا يوجد مصرى واحد يوافق على التخلى عن سنتيمتر واحد من الأراضى المصرية » .

وكنت – وما زلت – مقتنعاً بأن المفهوم الإسرائيلى للأمن ينبع أساساً من فكر

---

(١) ويزمان – المعركة من أجل السلام – طبعة عربية – ص ١٦٩ .

توسعى ، ولا يمكن لتطبيقه أن يقف عند حد ، ولن يكون إلا سبباً للصدام المستمر فى المنطقة . وقد حان الوقت لأن يقتنع قادة إسرائيل بأن ربط الأمن بالأرض أمر غير مقبول ، وأن التوسع الجغرافى لا يمكن أن يهزم التاريخ .

وبعد ذلك قدمت اقتراحا بأن تكون هناك منطقة فاصلة على جانبى الحدود الدولية كمنطقة منزوعة السلاح . وكان ذلك يعنى إلغاء وجود المطارين موضوع الحديث وإلغاء وجود مستوطنة ياميت جنوب رفح وهى أكبر وأهم مستوطناتهم فى سيناء . وأبرزت فى هذا الاقتراح بوضوح أن تكون المنطقة المنزوعة السلاح داخل إسرائيل كما هى داخل سيناء فى منطقة الحدود.

رفض ويزمان الاقتراح وقال : إن الفجوة بين مواقفنا شاسعة .

وهنا قلت : إننا مختلفون فى جميع النقاط .

وانتهت محادثات اليوم الأول فى قصر الطاهرة دون أن نتقدم خطوة للأمام .

□ □ □

وفى الجلسة الثانية – فى اليوم التالى – كان المتحدث الرئيسى هو رئيس الأركان الإسرائيلى الجنرال جور ، ورئيس الأركان المصرى الفريق محمد على فهمى .

تحدث جور عن اشتراكه فى الحروب السابقة بين إسرائيل والعرب والمعاناة التى تعيشها إسرائيل لينتقل منها إلى أهمية « الأمن الإسرائيلى » . وقال إن أحد الموضوعات الرئيسية التى تواجههم هو « ما هى الحدود التى تجعل مصر غير قادرة على شن الحرب إذا وقعت حرب على حدودهم الشرقية أو الشمالية خصوصاً وأنه لم يتم تسوية مشاكلهم مع الدول العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية » ... وأنه يرى أن يقدم الجانبان تنازلات من أجل التوصل إلى اتفاق سلام . وتطرق جور إلى شرح أهمية المطارات بالنسبة لهم للدفاع عن إسرائيل ، فقال إن المسافة بين إسرائيل وسوريا تستغرق ٤ – ٦ دقائق طيران ، والمسافة بين إسرائيل ومصر تتراوح بين ١٠ – ١٢ دقيقة طيران . وأن إسرائيل تملك ٦ مطارات عسكرية عاملة ، وهناك خطورة من حشد أعداد كبيرة من الطائرات فى عدد ضئيل من المطارات .

أراد الجنرال جور من هذا الشرح توضيح أهمية مطارى رفح ورأس النقب لهم . لقد أصابتنى – وزملائى – الدهشة من المنطق الإسرائيلى الذى يتيح لدولة ما احتلال

جزء من أراضى دولة مجاورة لأن عدد مطاراتها لا يستوعب كل طائراتها . هذا هو « الأمن الإسرائيلى » الذى أصبح هدفاً ووسيلة لكل توسع يرغبون فيه ، وهو معروف لنا فى مصر – وكل الدول العربية – ومرفوض منا جميعاً .

وتحدث الفريق محمد على فهمى ، وقال إننا نتحدث عن الماضى أكثر مما يجب ، وعلينا التركيز على المستقبل بحيث يستطيع كل طرف الدفاع وليس الهجوم . وإذا كان الجنرال جور يتكلم عن أهمية الانذار المبكر ، فإننا لا نوافق على أن يكون ذلك على حساب أراضينا ، وأننا أيضاً نفتقر إلى الانذار المبكر من جهة البحر .

واستطرد الفريق فهمى فى حديثه وقال إنه سمع أن طرابلس تقع ضمن مجال عمل السلاح الجوى الإسرائيلى . التزم الجانب الإسرائيلى الصمت ولم يعلق .

وحدث أثناء سير المفاوضات ، أن جاءنى من يطلبنى لحديث تليفونى عاجل مع نائب الرئيس حسنى مبارك . أبلغنى أن هناك مستوطنة جديدة تقوم إسرائيل بانشائها فى منطقة رفح ، وطلب إبلاغ ويزمان بذلك ، لأننا نتكلم عن السلام فى وقت يقيمون فيه مستوطنة جديدة فى سيناء .

أدهشنى ما سمعت ، وعدت إلى غرفة المفاوضات غاضباً لإبلاغ ويزمان الذى استأذن للاتصال تليفونيا مع إسرائيل عن هذا الموضوع . وهنا توقفت المفاوضات حتى أتم ويزمان الاتصال بالحكومة الإسرائيلية عن طريق وسيلة المواصلات الموجودة داخل القصر . وهذه الوسيلة أقيمت فى مصر بناء على اتفاق سابق بين الرئيس السادات ورئيس وزراء إسرائيل بيجين لتكون وسيلة اتصال مباشرة بين مصر وإسرائيل فى الموضوعات الهامة التى تتطلب ذلك ، وقد وضعت محطة الاتصال تحت اشراف وزارة الحربية منذ إنشائها إلى أن تقرر إنهاء عملها فى مرحلة تالية عندما تأزمت العلاقة السياسية بين الدولتين ، وصدر أمر الرئيس السادات بإنهاء عملها وهو الذى كان أمر بانشائها .

بعد قليل وصل رد من مكتب رئيس الوزراء بيجن ينفى إقامة مستوطنات جديدة فى مشارف رفح ، وطلب إبلاغ الرئيس السادات . وبعد أن تم ذلك استأنفنا العمل .

انتقلنا من الحديث عن المطارات والمستوطنات إلى موضوع آخر هو تحديد حجم القوات على جانبى الحدود . وقلت إننا اتفقنا على ايجاد منطقة فاصلة منزوعة السلاح على جانبى الحدود ، وهذا كان مفهومى من المناقشة السابقة التى دارت .

قاطعنى ويزمان قائلاً : إننا لم نوافق على نزع سلاح فى الجانبين ، بل تحدثنا فقط حول مبدأ ، وليس لدينا مجال لنزع السلاح ... أين ؟ هل فى بئر سبع ؟

□ □ □

وانتهت هذه الجولة من المفاوضات دون تحقيق أى تقدم فى موضوعى المستوطنات والمطارات . فإسرائيل - على لسان وفدها - كانت لا تزال متمسكة « بمشروع السلام الإسرائيلى » الذى يتعارض تماما مع السيادة المصرية ولا يحقق الانسحاب الكامل من سيناء . وكنا - على لسان الوفد المصرى - ملتزمين بضرورة تحقيق الانسحاب الإسرائيلى الشامل من سيناء دون إبقاء أى مستوطنات أو مطارات تحت أى إدعاء .

لقد تباكت إسرائيل على « نظرية الأمن الإسرائيلى » خلال المفاوضات منذ بدأناها فى جانكليس مروراً بمؤتمر الاسماعيلية وحتى اليوم ، وهى نظرية تخالف قواعد القانون الدولى ، إلا أن لها فى إسرائيل مفهوما مختلفا يعكس الهدف السياسى الذى تعمل على تحقيقه ووسيلة لخداع الرأى العالمى وبث القناعة لدى الشعب الإسرائيلى لتقبل مغامراتها العسكرية .

ووضعت إسرائيل لنفسها ركائز لهذه النظرية أهمها امتلاك القوة المسلحة واستخدامها لفرض الأمر الواقع على الدول العربية . ولكن حرب أكتوبر ١٩٧٣ هدمت هذه النظرية وأثبتت استحالة تحقيق أهداف إسرائيل السياسية غير المشروعة ، كما أثبتت أن الأمن لا يمكن أن يتوفر لإسرائيل إلا فى ظل العدل وتحقيق الأهداف العربية المشروعة فى تحرير الأراضى العربية المحتلة واستعادة حقوق شعب فلسطين .

لقد تشبثت إسرائيل خلال هذه المرحلة من المفاوضات بالاحتفاظ بمستعمراتها فى سيناء والابقاء على مطارى رفح ورأس النقب تحت سيطرتها تحت ستار « الأمن » ، ولكن الحقيقة كانت تهدف إلى ترسيخ فكرة التوسع والحدود الآمنة والانتقاص من أمن مصر ، وهو ما لا يمكن قبوله . ونسيت إسرائيل أنها - قبل حرب أكتوبر - انتصرت من تلك الحدود التى إدعت أنها غير آمنة ، وهزمت - فى حرب أكتوبر - من تلك الخطوط التى اعتبرتها آمنة .

وحقاً عبَّر ويزمان عن نتيجة مفاوضات القصر « إن الفجوة بين مواقفنا شاسعة » ، وكما عبَّرت أنا عنها بقولى « إننا مختلفون فى جميع النقاط » .

وحقاً أيضاً : كان هناك سد عال بين الأفكار المصرية والإسرائيلية .